أُمّ عُمارَة وَمسيلَمَة الكذّاب

لقد نصر الله عز وجل نبيه، وفتح مكة الحرام، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، وجاءت الوفود من أنحاء الجزيرة مسلمة طائعة بعد أن تحطمت مقاومة قريش، وهُزِمت ثقيف وهوازن في حنين. ولم تكن كل الوفود على درجة كبيرة من الوعي والصدق، فبعضها كان يرتجي من إسلامه غنيمة أو سيطرة، أو يطلب حماية ويدرأ خطراً. وبعضها أسلم دون مطمع، لكنه لم يفهم الإسلام على حقيقته، ولم تتح له فرصة التعرف على معناه الحقيقي، وبعضها كان له في إسلامه مطمع وغاية. ولـمَّا لـم يـجـد مـا يـبـتـغـي، ورأى فـي الإِسـلام جـهـاداً وتضحية وبذلاً، وتخلياً عن مغريات الدنيا، عندها أظهر العصيان، وقام بالردة وكان مسيلمة الكذاب من أول العاصين.

أراد هذا اللعين أن يستغل الأمر، فعرض على رسول الله أن يقاسمه السلطان، وادعى النبوة، وأطمعه

في ادعائه الباطل اتباع حمقى يناصرونه في باطله، ويؤازرونه فيما يدعيه ويتعصبون له ولو في الكفر.

ولقد ظن الأمر ملكاً ومالاً ومتاعاً في الدنيا، بعد أن ناصره من ناصره من المنافقين وضعاف النفوس وأصحاب العصبيات الجاهلية.

ولكنه عاد خائباً، وأنذره المسلمون من مغبة كذبه.

وأراد رسول الله ﷺ أن يدعوه للإيمان، ويذكره بالعاقبة، فكتب له رسالة يدعوه فيها للإسلام، وترك الكفر والعصيان، وسأل عن رجل يحمل له هذه الرسالة.

وكان المسلمون يعرفون أن مسيلمة طاغية، يريد أن يستعلي في الأرض ويدعي النبوة والسلطان، وأنه لا يرعى حرمة ولا يحترم ذمة، ولا يعرف لصاحب حق حقاً. بل كان يفعل ما توسوس له نفسه، ويأمر به شيطانه، بل أصبح يشرع لمن حوله، وينطق عن الهوى، وينشر في الأرض الفساد.

وكان بيت أم عمارة بيت البطولات والإيمان الراسخ، بيتاً لا يعرف الوهن أو الضعف أو التردد.

وتقدم حبيب بن زيد بن عاصم، ليحمل الرسالة، وأخذها قاصداً أرض بني حنيفة.

والأم التي تقف مثل وقفتها في أُحد مع أبنائها، لن تنجب إلا أولاداً أبطالاً، لا يهابون الطغيان، ولا يخافون من ملاقاة الموت، ومقابلة الطاغين، وهكذا تقدم حبيب لحمل الرسالة إلى مسيلمة. قدمته أم عمارة لهذه المسؤولية فدائياً مرسلاً من رسول الله ﷺ.

وجاء إلى اليمامة، ووصل إلى مسيلمة الكذاب، وأبلغه رسالة رسول الله ﷺ.

وما كان من الطاغية إلا الاستكبار والغلو في الضلال.

والتفت إلى حبيب ـ رسولِ رسول الله ﷺ ـ ونظر إليه باستهزاء لعله يخاف أو ينهار.

ولكنه عاد خاسئاً وهو حسير، لأنه رأى رجلاً لا ترهبه نظرات الطغاة ولا تخيفه ألاعيب الجبارين، ولا دمدمات الكاذبين.

فأضمر له شراً، وأراد أن يوقع في نفوس أتباعه المهابة ليزيد من إضلالهم.

فسأل حبيباً:

أتشهد أن محمداً رسول الله؟

وأجاب حبيب بهدوء وثقة واطمئنان: نعم.

فقال له والغيظ يشتعل اشتعالاً في كبده:

أتشهد أني رسول الله؟

فأجابه حبيب بذات الثقة والاطمئنان والرجولة: أنا أصم، لا أسمع!!

وأدرك مسيلمة ما في ذلك من صغار له واستهانة بأمره.

فأمر أتباعه أن يمسكوا بأصابع حبيب ثم قطعها واحدة واحدة وأعاد عليه السؤال مرة أخرى.

ولكنه وهو الطاغية البعيد عن الله لم يدرك كيف يربي الإيمان والإسلام أبناءه، ولم يعرف أن هذا ابن عاصم ونسيبة التي قال عنها رسول الله ﷺ: «ومن يطيق ما تطيقين يا أم عمارة».

وكأن حبيباً سمع صوت أمه مرة أخرى تقول له بعد أن ضمدت له جرحاً في أحد «انهض بني فضارب القوم».

فأجاب مرة أخرى بثقة واطمئنان وثبات كما أجاب في المرة الأولى وأضاف «أشهد أنك مسيلمة الكذاب».

وعاد الطاغية ليقطع عضواً آخر.

وعاد حبيب ليشهد أن محمداً رسول الله، وأن مسيلمة كذاب أشر.

وكان ينظر إلى الحور العين، وإلى جنان الخلد التي حفت له تستقبله وتفتح له الأبواب، وصوت رسول الله ﷺ يرن في أعماقه «اللهم اجعلهم رفقائي في الجنة».

ولم يهن ولم يحزن، ولم يخف، تخافت صوته لأن الأعضاء التي تقطعت نزف منها أكثر دمه، ولأن الروح التي يحملها بدأت ترنو إلى السماوات العلى لتحلق إلى أعلى عليين، وتصعد إلى بارئهم العلي الحكيم.

لكنه ظل يردد: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله..

وفاز حبيب بالشهادة. ونال مسيلمة اللعنة إلى يوم الدين.

تلك هي الثمرة الطيبة لتربية البيت المسلم.

وتلك هي الثمرة الطبيعية لفهم الإسلام، وتربية الأم للأبناء. لأنها التربية الإيمانية الواعية، والرعاية الأمينة.

وإن أماً كنسيبة، في صدق إيمانها، واستقامة طبعها، وشدة وعيها، وعمق إدراكها للإسلام، وحرصها على مرضاة الله عز وجل، لن تربي أولادها إلا على الإيمان الراسخ الواعي، والإسلام المتميز المثمر، والسلوك الإسلامي الصادق، والجهاد البطولي الرائع.

وإن أماً تقول لابنها وهو جريح: قم بني فضارب القوم، لا تخشى عليه من الموت، لأن الموت هنا شهادة ومكرمة وسمو لا يصلها إلا من اختارهم الله لهذا؛ إن أماً كنسيبة، لن يكون ولدها في صدق الإيمان، وشجاعة الحق إلا كحبيب وهو بين يدي مسيلمة.

نعم كلمة الإيمان يعلنها مدوية، حينما نزفت جراحه، وقطعت أعضاؤه، وإن لم يقل كذلك فهو الذل والنفاق والنكوص.

ونال الشهادة، وذهب إلى ربّه راضياً يلقى نعيم الآخرة، بعد أن ترك للدنيا كلها هذه الصورة الرائعة.

فالطغيان لا يمكن أن يطمس كلمة الحق، ما دام للإيمان أهل صادقون. والموت في سبيل الله سيذكي شعلة الدعوة ما دام هناك حملة مؤمنون، ويعطي للدعاة

أمثولة باقية ما دامت هذه الحياة على وجه الأرض، حتى يروا الطريق واضحاً طريق الشهادة، وطريق الدعوة، ليعرف الذين يريدون مرضاة الله أن ذلك لن يكون إلى بالتضحية. والصبر وبذل الروح في سبيل الله.

أما مهادنة الباطل، ومصانعة الجاهلية، والتخاذل أمام السوء فذلك الوهن الذي يتنافى مع الإيمان ويتعارض مع البيعة الصادقة.

علمت نسيبة بجريمة مسيلمة وطغيانه، فاستقبلت الخبر بصبر وثبات، وعاهدت ربها أن تموت في سبيل الله أو تقتل مسيلمة وتثأر لابنها الشهيد، وانتظرت مسيرة الجيش إلى اليمامة، فخرجت مع ابنها عبد الله في جيش المسلمين بقيادة خالد بن الوليد.

وهناك اشتد القتال، واستأسد مسيلمة وأعوانه، بعدما انهزم أول جيش اصطدم به، ولكن الجيش الذي قاده خالد، كان أكثر إصراراً على النصر واقتلاع شوكة الباطل، والخلاص من هذا الطاغية.

واحتدم القتال، وسقط الكثير من المسلمين شهداء، وارتفعت هتافات الإيمان: الله أكبر، واقتحم الصحابة من أهل بدر وأحد صفوف المرتدين، وشتتوا

جموعهم، وهرب مسيلمة يلتمس النجاة مع الآلاف الباقية من جنده والتجأ إلى بستان مُسوَّر وأحكموا إغلاق الباب طلباً للنجاة.

وهناك كانت بطولات يقف أمامها التاريخ مشدوهاً، حين اقتحم المسلمون البستان بعد أن ألقوا بواحد منهم وراء الباب حتى فتحه، وكانت نسيبة تندفع مع الجموع الإسلامية إلى البستان حتى غدا حديقة الموت، واستمر القتال. حتى النصر.

كانت تبحث عن عدو الله، وكان دون ذلك جموع وأبطال أشداء، لكنها تدربت على اقتحام كتائب الأبطال، وعرفت موطن مسيلمة فاقتحمت الجموع حوله مع ابنها، ووصلوا إلى مسيلمة فضربوه حتى أصابه ابنها عبد الله بضربة قاتلة، وقذفه وحشي (قاتل حمزة) بحربته الصائبة فخرّ الطاغية صريعاً، وشفى الله صدر نسيبه، حيث انتقمت من عدو الله وعدوها.

يقول وحشي عن مقتل مسيلمة:

«سبقني إليه رجل من الأنصار».

ويقول راوي الخبر: إن الرجل الذي ذكره وحشي في قتل مسيلمة، هو عبد الله بن زيد بن عاصم المازني من الأنصار.

وسُئلت نسيبة عن معركة اليمامة بعدما قُطعت يدها، فأجابت تصوّر المعركة:

سألتها أم سعد بنت سعد بن الربيع عن يدها وما أصابها فقال: أُصيبَتْ يومَ اليمامة لما جعلَتْ الأعرابُ ينهزمون بالناس، نادت الأنصار «أخلصونا»[1] فأُخلِصت الأنصار فكنت معهم، حتى انتهينا إلى حديقة الموت، فاقتتلنا عليها ساعة حتى قُتل أبو دجانة على باب الحديقة، ودخلْتُها وأنا أريد عدو الله مسيلمة، فيعترض لي رجل منهم فضرب يدي فقطعها، فوالله ما كانت لي ناهية[2]، ولا عرَّجت عليها حتى وقفْتُ على الخبيثِ مقتولاً، وابني عبد الله بن زيد المازني يمسح سيفه بثيابه.

فقلتُ: قتلتَه؟

قال: نعم.

فسجدتُ شكراً لله.

---

(١) أي طلبوا أن يتجمع الأنصار في كتيبة خالصة منهم.

(٢) إن صورة هذه الصحابية التي تقطع يدها ـ ومع ذلك تستمر في المعركة لأمر يعجز عنه الرجال، فلنقف أمام هذه الصور الإيمانية معتبرين.

وعادت نسيبة بعد أن شاركت في هذه المعركة العظيمة، وانتقمت لموت ابنها وقد أصيبت باثني عشر جرحاً، وقطعت يدها، وعادت إلى المدينة لتضميد جراحها.

فهي لم تكن تسقي الجرحى وتداوي المرضى فقط، بل شاركت في القتال البطولي الذي دار في حديقة الموت وساهمت في القضاء على هذا الدَّعيِّ الكاذب، الذي هدد مع قومه بني حنيفة المسلمين والإِسلام، وكانت معركة اليمامة وساماً جديداً في حياة نسيبة بعد تلك المعارك التي حضرتها مع رسول الله ﷺ ولا سيما في أحد.

هذه الأمانة التي تركها رسول الله ﷺ للمسلمين لن يتخلى عنها الصادقون، فكما كانت نسيبة يوم أحد حينما تعرض الإِسلام والمسلمون، للإِبادة والاستئصال في أخطر المواقف تدافع عن رسول الله ﷺ، فكذلك اليوم كانت مع خالد وجيش المسلمين وجلة الصحابة تباشر القتال لتقضي على أكبر خطر تعرض له الإِسلام بعد وفاة رسول الله ﷺ، حتى جرحت هذه الجراح الكثيرة.

كانت نسيبة في بيتها تداوي جراحها، وتنتظر أن تشترك في موطن آخر.

وأبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ يعلم ما أصابها من قطع يدها وإصابتها من الجراح.

فيأتي إليها يعودها، ويسأل عنها، ويطمئن عن حالها، وهكذا يرفع الإِسلام أهله، وينظم مجتمعه، حتى ليذهب خليفة المسلمين وصاحب رسول الله ﷺ ليسأل عن امرأة من الأنصار، ويطمئن عنها.

إنه الإِسلام، وإنه الصِّدِّيق يضع للمجتمع هذه القيم الخالدة، ويسير على خطى القائد محمد رسول الله ﷺ الذي أكرم نسيبة، وأثنى على صدقها وجهادها.